كتاب

نقولا ناصيف يوثّق "جان عبيد ستة عقود في الوطن"
أقدارٌ في سيرة رجل أقامت فيه الجمهوريات الثلاث

"ولد في الجمهورية الاولى، وتدرب في الجمهورية الثانية، وصعد في الجمهورية الثالثة. في الاولى جذوره، وفي الثانية جذعه، وفي الثالثة اغصانه..." هكذا يختصر الكاتب والصحافي نقولا ناصيف سيرة شخصية كانت جزءا من مراحل والمراحل جزءا منه. "رجل الحوار" و"الجسر بين المتناقضات" حيا في ثنايا كتاب من 800 صفحة.

بلغة خالية من الزخرفة دون التبسيط، بدقة بحثية واسلوب توثيقي مستندا الى وثائق رسمية، محاضر اجتماعات، مقابلات مع شخصيات سياسية بارزة، مراسلات شخصية وارشيف غير منشور، ابصر الكتاب التاسع لنقولا ناصيف النور "جان عبيد ستة عقود في الوطن" مكرسا المنهجية التوثيقية التحليلية التي اعتمدها في كتاباته التوثيقية السابقة حول شخصيات سياسية بارزة مثل فؤاد شهاب وكميل شمعون وريمون اده وامنية كرجالات المكتب الثاني.

"الامن العام" اجرت مع نقولا ناصيف حوارا عن الكتاب وشخصية الراحل جان عبيد.

■ لماذا جان عبيد؟

□ هو من السياسيين اللبنانيين الذين مروا بتجارب الجمهوريتين الاخيرتين: جمهورية ما قبل اتفاق الطائف وجمهورية ما بعده. وبالتالي رافق مرحلتين: المرحلة الاولى بين 1943 و1990 كطالب ثم كصحافي ورئيس تحرير مجلة الصياد، وهي تجربة صحافية لم تتعد 13 سنة كانت اقرب الى العمل في صحف عقائدية كصحيفة "لسان الحال" التي كان يملكها جبران حايك العضو في الحزب السوري القومي الاجتماعي وجريدة "الاحرار" التي كان يملكها حزب البعث. والتحق في ما بعد بمجلة "الصياد" التي لم تكن عقائدية بل كانت منحازة. المفارقة في تجربة جان عبيد الصحافية انه كان في مكان واصبح في مكان اخر. عندما عمل في "الاحرار" التابعة لحزب البعث كان موقفها متشددا من الناصرية ومن جمال عبد الناصر، وبالتالي ساجل جان عبيد التجربة الناصرية وكل ما انطوت عليه من اخفاقات ونجاحات. عندما انتقل الى "الصياد" الناصرية الشهابية اي في مقلب معاكس تماما لجريدة "الاحرار"، استطاع ان ينتقل من العمل في ظل العقائدية الى العمل في ظل الفكرة الوطنية. وانتقل في ختام التجربة الصحافية في مجلة الصياد من الشأن الاقليمي الى الشأن اللبناني ما فتح له الباب اكثر لولوج السياسة الداخلية. بعد مرحلة الصحافة في عام 7219حتى مرحلة اتفاق الطائف 1991 تعاطى الشأن العام من خلال كم هائل من العلاقات مع الطبقة السياسية انذاك كان قد راكمها عندما كان صحافيا. الا انه لم يستطع الوصول الى منصب رسمي وان ضمن حدود الا في مطلع عهد الرئيس سركيس عندما عينه مستشارا للملفين اللبناني الفلسطيني واللبناني السوري. وقد نظر انذاك الى جان عبيد كأنه غريب في البيئة التي تحوط بالرئيس سركيس وهي كانت بيئة معادية للسوريين في حين انه كان صديقا لهم. واشير ايضا الى انه عرف الرئيس حافظ الاسد في بداياته عندما كان لا يزال رائدا طيارا قبل ان يصل الى ما وصل اليه سواء بعد عام 1963 وبعد 1970. كما عرف ايضا قادة الجناح السوري في حزب البعث وفي العراق ايضا في مرحلة مبكرة. هذا الامر ساعده على نسج شبكة هائلة من العلاقات.

الكاتب والصحافي نقولا ناصيف.

> **عولت كثيرا على المحفوظات الخاصة للرئيس امين الجميل**

تبلورت اكثر تجربته في السلطة في عهد الرئيس امين الجميل بين عامي 1982 و1988 الا انه لم يستمر طوال عهده فكان الى جانبه في النصف الاول من الولاية مستشارا لملفين شائكين: العلاقات اللبنانية السورية والعلاقات اللبنانية الفلسطينية، وكان له الدور الاساسي في تامين الصيغة النهائية لإلغاء اتفاق 17 ايار. الرئيس الجميل لم يبرم اتفاق 17 أيار، وبالتالي لا يستطيع احد ان يزعم بأنه اسقط الاتفاق لأنه لم يبرم اصلا رغم تصويت مجلس النواب عليه. في نصف عهد الرئيس الجميل عاد عبيد الى تعاطي الشأن العام حتى اتفاق الطائف حين بدأ الدخول فعليا في السلطة كجزء لا يتجزأ منها وليس كمستشار او مراقب او متفرج. فكانت المرحلة الثالثة الاساسية في حياته عندما عين نائبا ثم انتخب نائبا في دورات 92 و96 و2000. وفي عام 2005 بعد اغتيال الرئيس الحريري تغيرت كل الظروف وانقلب الموقف اللبناني رأسا على عقب حيال السوريين ولم يترشح، خسر في انتخابات 2009 وعاد الى البرلمان في 2018 من دون ان يتاح له ان يكمل الولاية. جان عبيد يشكل عصارة كل التدخلات الاقليمية العربية في الشأن اللبناني اي عندما كان التدخل ناصريا واكبه وساجله، وفي المرحلة السورية ساعدته علاقاته وصداقاته على ان يكون قريبا من الدور السوري في لبنان. اما المهم في تجربته فهو صراعه مع الاقدار في مسالة رئاسة الجمهورية. منذ ان نزل من علما الى طرابلس ثم الى بيروت عام 1960 بدأت تراوده فكرة رئاسة الجمهورية وكان لا يزال في بداية عمله في "لسان الحال" وقال لنفسه ولزملائه انذاك انه يريد ان يصبح رئيسا للجمهورية، الا انه لم يقارب هذا الاستحقاق او لم يقترب منه جديا الا عام 1989 على اثر اغتيال الرئيس رينيه معوض وقبل انتخاب الرئيس الياس الهراوي. في الساعات الـ48 الفاصلة بين اغتيال الرئيس رينيه معوض وانتخاب الرئيس الهراوي، استدعت دمشق بناء على طلب الرئيس حافظ الاسد جان عبيد من باريس في طائرة الرئيس رفيق الحريري وواكبه في الطائرة سمير فرنجيه والفضل شلق، واجروا معه طوال الليل حوارا طويلا مع عبد الحليم خدام ◄

المقال

الذاكرة المبتورة

"لا يربطني اي شيء بلبنان"، "نريد الرحيل"، "لا اريد النظر الى الوراء مرة اخرى"... عبارات من المحزن ان يرددها شبابنا، عاكسة مشاعر نبذ للبنان ويأس وفقدان امل. الاخطر هو ما يواجهه بلدنا من فقدان شبابه لشعور الانتماء الى الوطن. الامل عندهم يبدأ بتأشيرة وتذكرة سفر والرحيل بأي ثمن.
فهل لبنان يطرد شبابه؟ ومن المسؤول؟
في حاضرنا ليس هناك من يلهم اجيالنا الجديدة الثقة او يقدم نموذجا صالحا، اذ انهم يكبرون في فراغ سياسي واخلاقي. يعيشون وسط ازمات متتالية، ويتلقون تعليمهم في جامعات منهكة من الهجرة وانعدام الافق. يكبر جيل جديد يبتعد يوما بعد يوم عن الذاكرة الوطنية، ويجهل رموزا صنعت تاريخه السياسي والفكري.
صور قديمة واسماء شوارع لا تحمل معنى، هذا كل ما تعرفه اجيالنا الجديدة عن رجالات لم يكونوا قديسين، لكنهم مثلوا فكرة الدولة كفؤاد شهاب الذي اراد بناء ادارة حديثة على قاعدة العدالة والتوازن. وكميل شمعون الذي انفتح على العالم واسس نهجا اقتصاديا حرا. كمال جنبلاط الذي جمع بين الفكر السياسي والثقافة والفلسفة، والياس سركيس رجل المؤسسات والحيادي في زمن العواصف، المدرسة في الاخلاق السياسية والحكمة الادارية. ريمون اده الذي لقب بضمير الجمهورية، الثابت في مواقفه، الصلب في معارضته، والشجاع في زمن كانت فيه الكلمة تكلف الحياة، وغيرهم من شخصيات عملوا وفق منطق الدولة، لا العصبيات.
هم قيادات وزعماء ومسؤولون كتب عنهم او كتبوا عن انفسهم، وآخرون لم يكتب عن تجاربهم التي طبعت مراحل من تاريخ لبنان ما قبل الحرب. سير كثيرين من امثالهم غير موثقة كما يجب، في المناهج التعليمية او في الاعلام، او حتى في الادب السياسي، مما يرسخ الانطباع الزائف بأن لبنان لم يعرف يوما رجالات دولة حقيقيين.
في وقت تخاصم اجيالنا الجديدة الكتاب مأخوذة بتقنيات اخرى وبثقافات بديلة، ترسخ وسائل الاعلام ومواقع التواصل ثقافة اللحظة على حساب التعمق في التجربة السياسية اللبنانية. فيما لا تدرس سيرة رجالات الدولة اللبنانية في المدارس بشكل كاف، بل تختصر الذاكرة الوطنية في تواريخ مجتزأة مغلفة بحذر، اما طائفي او سياسي، والمناهج اما مجتزأة أو مؤجلة الى اجل غير معروف.
ولأن الشعوب التي تنسى رموزها تفقد بوصلتها، بات ملحا اليوم ان يتعرف شبابنا على لبنان ما قبل الحرب، اذ ان ما بعدها ليس حقيقيا. لم يتعرفوا عليه لا لأنهم لا يريدون ذلك، بل لأنه لم يتح لهم. لذلك ان احياء الذاكرة السياسية اللبنانية ضرورة اليوم عبر النقد والتوثيق لا عبر تمجيد شخصيات وتكرار اسطوانات حزبية، وبالتالي فتح نقاش وطني حول سير رجالات الدولة الحقيقيين القياديين لا زعماء الطوائف. رجال لم يكونوا كاملين، لكنهم كانوا مسؤولين.
من دون فهم الماضي، لا يمكن بناء مستقبل. لذا من حق شبابنا ان يطالبوا ويصنعوا وطنا... لا ان يرحلوا عنه!

ميرنا الشدياق

وحكمت الشهابي ثم مع الرئيس حافظ الأسد، وقدموا له عرضا بأن يكون رئيسا للبنان اذا وافق على شرط كان قد رفضه رينيه معوض وتسبب باغتياله، وهو ان يستخدم الجيش السوري لاطاحة العماد ميشال عون في قصر بعبدا وفي وزارة الدفاع. رفض جان عبيد العرض اولا لأنه اعتبر ان هناك من يضع له جدول اعمال ولايته اذا انتخب رئيسا وسيكون مقيدا، ثانيا لأنه لا يستطيع في ظل وجود الجيش اللبناني ان يسلم بتكليف جيش غير لبناني الذي هو الجيش السوري لإطاحة العماد ميشال عون. وقد قال لعبد الحليم خدام ان اسرائيل عام 1982 وصلت الى بعبدا ولم تجرؤ على دخول قصر بعبدا فكيف اسمح انا بدخول الجيش السوري اليه. طبعا لم يوافق السوريون على وجهة نظره وفقد هذه الفرصة. في ما بعد طرح اسمه في الاستحقاقات التالية قبل التمديد للرئيس الهراوي عام 1995 وكان طرحا عابرا وطرح اسمه جديا عام 1998 عند انتخاب الرئيس اميل لحود، طرح ايضا جديا عام 2004 عند طرح التمديد للرئيس لحود. اذا، الفرصة الحقيقية التي تخلى عنها جان عبيد كانت فرصة مشروطة بما لا يستطيع القبول به، وهو ان يصل الى الرئاسة على دم وهو التعبير الذي كان يستعمله. ولخص هذا الامر بعبارة "لم تأت ساعتي بعد" وظل يعتقد على مر الاستحقاقات التالية انه لا بد ان تأتي هذه الساعة. وينطلق رفضه ايضا من قناعاته وتعلقه بالايمان وبنبذ العنف والحوار والتواصل مع الاخر، وان فسحة الاتصال يمكن ان تكون دائما عاملا مساعدا لايجاد الحل للمعضلات والمشاكل. لجان عبيد وجهة نظر حول الرئاسة المهمورة دائما بتوقيع الهي، مستعملا تعبير paraphe الهي. وكان يعطي امثلة على ذلك عام 1952 كانت الرئاسة لحميد فرنجيه فأصبحت لكميل شمعون، وعام 1964 كانت الرئاسة لعبد العزيز شهاب فاصبحت لشارل حلو، وعام 1982 كانت الرئاسة لبشير الجميل فانتخب امين الجميل، وعام 1989 انتخب الرئيس رينيه معوض لكن الرئيس الياس الهراوي هو الذي حكم. في

> **جان عبيد والرئاسة المهمورة دائما بتوقيع إلهي**

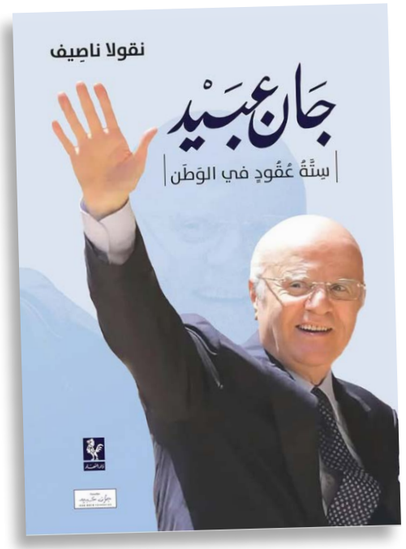

غلاف الكتاب.

لحظات معينة يتدخل القدر ويأخذ الاستحقاق من مكان الى اخر. يمكن ان يأتي الرئيس غير المحسوب والرئيس المؤهل او المتفق عليه ويمكن ان يفقد فرصته في اللحظة الاخيرة.

■ لكن كيف كان يؤمن بالقدر في حين ان مصالح الدول كانت تتحكم بالاستحقاق؟

□ يعتبر جان عبيد ان القدر اكبر من مصالح الدول، هي مسألة ايمانية. وهو من الاشخاص كثيري الايمان. كان يمارس طقوسا دينية لا يتخلى عنها، كزيارة كنيسة القديسة تريزيا في سن الفيل كل اثنين، وزيارة مزار القديس شربل في عنايا باستمرار. وعند سفره الى فرنسا يجب ان يزور لورد. تعلقه بالدين دفعه الى تفسير الاحداث الجسام على انها قدرية. وان الاشخاص لا يصنعون هم اقدارهم بل الاقدار هي التي تصنع مصائرهم. كما ان نظرته الى القدر مرتبطة بصداقته مع كمال جنبلاط الذي كان يؤمن ايضا بالقدر. وهنا اشير الى ان كمال جنبلاط في احدى رحلاته الى الهند قيل له انه سيموت قبل ان يصل الى الستين من عمره، وهذا ما حصل. وجان عبيد في احدى مناماته رأى قمرا وقع وانكسر، عاد الى احد كتب تفسير المنامات وقيل له ان صديقا ما سيموت، فأخبر كمال جنبلاط الذي كان رد فعله انا اعلم اني سأموت قبل ان اصل الى الستين. ايمانه بالقدرية منعه ايضا من كتابة مذكراته. ترك بعض المدونات وبعض الفصول الصغيرة، لسبب بسيط، وهو كان جزءا من حديث بيني وبينه، اذ كان يعتقد ان الوقت لا يزال امامه متاحا، وكأنه كان يشعر ان الوقت لا يزال مبكرا كي يموت واذا كتب مذكراته كأنه ينهي مسيرته بينما مسيرته هي دائما في بداياتها وهذا ما كان يكرره.

■ توثق مراحل من تاريخ لبنان وفي كتاب جان عبيد اكثر من 70 مقابلة مع شخصيات تختلف حول سرد التاريخ الحديث هل لمست هذا الامر في مقابلاتك؟

□ انا لا اؤرخ ولست مؤرخا، انا اوثق او احاول كتابة سيرة مراحل وسيرة اشخاص. كل الكتب التي سبقت هذا الكتاب ارتبطت اما بسيرة شخص في مرحلة او سيرة مرحلة كان يدور في خلالها اشخاص. ما يعتبر بالنسبة الي قطبي الجذب في الكتابة. انا دائما اميل الى الكتابة التي تسمى الرواية الشفوية، بمعنى لا استند الى الاوراق والجرائد والمجلات والتصريحات والمواقف الرسمية. انا اذهب الى الاشخاص الذين كانوا شهودا اما على شخص او على مرحلة، وبطبيعة الحال استمع اليهم لاسيما اذا كانوا مخضرمين. الامر الثالث في الالية التي اعتمدها هي في التقاطع، بمعنى انه ليس من الضرورة ان كل ما يقوله احد ما اثبته. في نهاية المطاف، كون الرواية تدور حول شخص فكل القصص هذه تتقاطع في

مكان معين. هذا التقاطع عندما يحصل نتأكد من صحته او من عدمه. هي قصة حياة جان عبيد الذي ترك بعض الاوراق والمدونات وترك فصلا مكتوبا حول اتفاق 17 ايار ومجموعة اوراق ممكن من خلالها تكوين صورة عنه، لكن كل ذلك كان غير كاف من دون التعويل على الناس التي كانت على صلة مباشرة به سواء في العائلة او اصدقائه في المدرسة او زملائه في الصحف التي عمل فيها، وصولا الى المسيرة السياسية. عولت كثيرا على المحفوظات الخاصة للرئيس امين الجميل في ما يتعلق بمحاضر الاجتماعات التي كان يشارك فيها جان عبيد في مرحلة ولايته، وهي وثائق غير معلنة. اعتمد على الرواية الشفوية من اجل تكريس ادوار هؤلاء الاشخاص اي ليس فقط اتحدث عن جان عبيد، كذلك اتحدث عن هؤلاء كجزء من حياته وجزء من تجربته الشخصية.

■ هل كان لكل شخصية قابلتها رواية خاصة عن كل مرحلة من المراحل التي تحدث عنها؟

□ طبعا، هناك عبارة مأثورة للمؤرخ الكبير كمال صليبي: "كي يكتب تاريخ لبنان لا يجب ان يكتب التاريخ الحقيقي بل التاريخ المتصوَّر"، المقصود به هو التاريخ الذي يلتقي عليه اللبنانيون وليس اي طرف لبناني دون آخر. وهذه كانت معضلة عانى منها جان عبيد عندما كان وزيرا للتربية واراد وضع الكتاب الموحد للتاريخ ولم يحصل ذلك، بل وضعت المبادئ الاساسية لكتاب التاريخ. لكل طرف تاريخ لبناني مختلف عن الطرف الاخر، وفي التاريخ اللبناني لكل طرف ابطال وخونة من وجهة نظره. كل طرف يريد ان يقرأ التاريخ على طريقته متلاعبا بالوقائع. هذا الامر يجعلنا من الصعوبة بمكان الوصول في اي يوم من الايام الى وضع قصة موحدة لتاريخ لبنان.

م. ش